

\*Aitjamal Mohamed | محمد أيتجمال

## الرحلات الفرنسية إلى الجنوب المغربي خلال القرن 19 الواقع والتمثيلات

French Expeditions to the Moroccan South during the 19<sup>th</sup> Century  
Fact and Representation

كان احتلال فرنسا للجزائر والسنغال عاملاً عجل بإرسال الجواصيس والمكتشفين إلى الجنوب المغربي بهدف البحث عن سبل ربط الاتصال المباشر بين المستعمرتين؛ فنظمت الحكومة الفرنسية رحلات لهذا الغرض، وشجعت الرحاليين على تدوين ملاحظاتهم ونشرها. ملأ العوامل الطبيعية والبشرية عائقاً جعل اختراق المجال عسيراً، اضافت إليها التمثيلات الخاطئة حول المنطقة، فكان ذلك من النواصص الكبيرة لهذه النصوص، جعلت الكثير من الدارسين يتحفظون على مضمونها، إذ كان من الصعب عزل ذات الرحالة عن الشيء الم موضوع ما دام أنه يعبر انتلاقاً من رؤية عصره وثقافته موطنها. هكذا كانت هذه الكتابات تكريساً لصورة نمطية متكررة، تؤطرها عدة مرجعيات عميقة في التاريخ الأوروبي، وهو ما تحاول الدراسة تفنيده وعرضه.

**الكلمات المفتاحية:** الرحلات الفرنسية، الجنوب المغربي، القرن التاسع عشر، التمثيلات.

France's occupation of Algeria and Senegal created a frontier which was ideal for exploration by the country's travelers and spies on the southern rim of the Maghreb. The country aimed to find a direct means of communication between its two colonial outposts. The French government organized expeditions to this end, encouraging travelers to record and publish their observations. Natural and human barriers, however, prevented a fuller understanding of the area. This was reflected as a major shortcoming of the texts in question, and many students are today cautious of their contents. Separating the objective reality they are supposed to reflect from the author's subjectivity is difficult; the works often better express the perspective of the period more than of the place they describe. Inevitably, the works end up rehearsing entrenched European stereotypes. This study aims to reexamine this body of texts in a new light.

**Keywords:** French expeditions, Moroccan south, 19<sup>th</sup> Century, Representations.

\* باحث بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، أكادير، المغرب.  
Researcher at the Regional Center for the Teaching and Training Professions, Agadir, Morocco.

## مقدمة

بعد أن استكملت فرنسا احتلال الجزائر ووُطّدت سلطتها بالسنغال، أصبحت النخبة الحاكمة تفكّر في وسيلة لربط المستعمرتين<sup>(1)</sup>، والتي كانت تستلزم، بالضرورة، المرور بأراضي موريتانيا وجنوب المغرب؛ ما كان يستدعي اكتشاف تلك المناطق التي كان الفرنسيون يجهلونها، ولا يعرفون ما تخبئه من مخاطر وأهوال<sup>(2)</sup>؛ فقد جاء في رسالة وجهها البارون روحي الذي كان يشغل منصب رئيس الجمعية الجغرافية لباريس رئيس لجنة الجزائر والمستعمرات بالبرلمان الفرنسي، إلى وزير البحري الأدميرال فيرمانهاك بتاريخ 27 تشرين الثاني / نوفمبر 1848؛ إن القيام برحالة استكشافية لمعرفة وسيلة الربط البري بين الجزائر والسنغال ستكون له أهمية كبيرة للتجارة والعلوم والسياسة<sup>(3)</sup>. ولتحقيق هذه الغاية نظمت فرنسا مجموعة من الرحلات إلى الجنوب المغربي؛ بهدف تفعيل مخططها الاستعماري، فمعروفة دقائق المجال ستتمكن لا محالة من الوقوف على نقط القوة والضعف عند هذا "المتوحش والمختلف"، بحسب التعبير الاستعماري الشائع، والذي "سيصبح يوماً ما جزءاً من الإمبراطورية الفرنسية، فرنسا الديمocratique التي يمكنها أن تقوه بخطى ثابتة نحو التطور"<sup>(4)</sup>. فهذه دريتك دولشارير تعيب على الذين قاموا باحتلال الجزائر كونهم لم يستطعوا "معاينة الصدع الذي يجب تعميقه من أجل تفكيك هذه الكتلة"<sup>(5)</sup>. لهذا، يجب على الرحالة "أن لا يكتفي فقط بأداء أدوار المسافر والطبوغرافي والفوتوغرافي والجماع (collectionneur)، فقبل كل شيء هو يتطلع إلى خدمة بلده، ومن خلال الأحلام المرتبطة برحالة يرى ظل علم بلاده يرفرف أينما حل"<sup>(6)</sup>. تحولت محاولات التعرف والاستكشاف إلى "بحث مؤسساتي مؤيد ومؤازر بكل أنواع المساعدة من طرف أجهزة السلطة والحكام العامين للجزائر والسنغال، وأصبح العلم، حتى في مرحلته الاستكشافية الوصفية، أداة فعالة للغزو، ويعكس أطامع فرنسا الاستعمارية"<sup>(7)</sup>.

## الجنوب المغربي "الغامض" قبلة للرحالين الفرنسيين ما بين 1850 و 1887

وجد الرحالون الفرنسيون الجنوب المغربي مناطق مختلفة عن فرنسا وعن باقي جهات المغرب؛ فالمعطيات الطبيعية والاجتماعية على نقیض ما تعودوا عليه، ونجاح الرحلات يُعدُّ أمراً عظيماً وإنجازاً باهراً، وهو ما يفسر الحواجز المالية المغربية، والأوسمة التي كانت تُمنح لمن استطاع إنتهاء رحلته بسلام. وخاصة إذا استحضرنا أسماء الرحالين الذين فشلوا في مسعاهم، كفشل الضابط المأجور سبيتسبورو عند سواحل سوس، وهي المحاولة التي عرفت آنذاك بمعامرة Tourmaline<sup>(8)</sup>. وال المصير نفسه كان من نصيب محاولة دوسيغونزاك De Segonzac عندما أراد الوصول إلى وادي نون، حيث قامت جماعة من الشلوج بأسره<sup>(9)</sup> بحسب تعبير رولاند لوبيل.

1 Robert Cornevin & Léopold Panet, "Métis Sénégalais premier explorateur moderne du Sahara occidental," *La Grande Encyclopédie du Maroc* (Bergamo: Grouppo Walkover, 1968), p. 142; Maurice Barbier, *Voyages et exploitations au Sahara occidental au XIX<sup>e</sup> siècle* (Paris: Editions l'Harmattan, 1985), p. 126; Guy Midiohouan Ossito, "Un Auteur africain francophone de XIX<sup>e</sup> siècle face à la conquête coloniale, Léopold Panet et la relation d'un voyage du Sénégal à Soueira (Mogador)," *Revue de l'université d'Abomey-Calavi* (2002), p. 52.

2 محمدون مهمن، *المجتمع البيضاوي في القرن التاسع عشر: قراءة في الرحلات الاستكشافية الفرنسية*، سلسلة بحوث ودراسات 8 (الرباط: منشورات معهد الدراسات الأفريقية، 2001)، ص 102.

3 Léopold Panet, *Première exploration du Sahara occidental, relation d'un voyage du Sénégal au Maroc 1850* (Paris: Le Livre Africain, 1968), p. 12.

4 Étienne Eugen, "L'institut Marocain," *Renseignements Coloniaux*, no. 8 (1904), p. 194.

5 Jacques Ladréte de la Charrière, "Les études berbères au Maroc et leur intérêt africain," *Renseignement Coloniaux* (1924), p. 35.

6 Roland Lebel, *Les Voyageurs Français du Maroc, l'exotisme Marocain dans la littérature de voyage* (Paris: E. Larose, 1936).

7 الهادي الهروي، *القبيلة الإقطاع والمخزن: مقارنة سوسيولوجية للمجتمع المغربي الحديث 1844 / 1934* (الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، 2004)، ص 26 - 27.

8 محمد الدهان، "الرحلة الإثنوغرافية الاستعمارية بالمغرب، نموذج أسفار المقرب للمؤلف الماركيس ديسوكنزاك"، في: محمد حمام، *الرحلة بين الشرق والغرب*، سلسلة ندوات ومناقيرات 110 (الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2003)، ص 315.

9 Lebel, p. 224.

مثّلت العوامل الطبيعية والبشرية عائقاً زاد من صعوبة القيام بالرحلات، وهو الأمر الذي جعل لويس جونتي يكتب: "غالباً ما تصادف المسافر في الصحراء أمور غير متوقعة [...] فقبل اثنتي عشرة سنة فقط من الآن، كان السفر من مراكش أو موغادر حتى وادي درعة مليئاً بالأخطار، فلم يكن تحقيقه إلا تحت غطاء من التكرو<sup>(10)</sup>، إذ كانت الصحراء متاهة لمن لم يألفها، هي موت بطيء وسريع لمن يغامر في عبورها، فالماء نادر إن لم يكن منعدماً في أطراف واسعة منها، والمناخ قاسٍ تصل الحرارة إلى درجات يصعب تحملها. فضلاً عن صعوبة التنقل وانعدام الأمن ومعرفة مسارات القوافل في أرض تتشابه بمالها الممتدة التي لا يحدها بصر، هذا إضافة إلى الزوابع الرملية التي تزيد من صعوبة التنقل، والجفاف وتبحر المياه التي يحملها معهم الرحالون، فالصحراء، كما كتب ديشان: "تفترس من لا تعرفه"<sup>(11)</sup>. هذا، من دون أن نغفل الأمراض والأعطال الناجمة عن وعورة التضاريس وطرف المناخ، "فالجفاف والحمى كانتا معرقلتين أكثر من الحيوانات المفترسة"<sup>(12)</sup>. عديدة هي العوامل السوسيوثقافية التي جعلت اختراق هذا المجال عسيراً، فمنها ما هو مرتب بالرجالين أنفسهم، والتي تتمثل في جهلهم بالمنطقة، مكتفين بما كانت تروجه كتب الأدب الغرائي بفرنسا وعموم أوروبا: "فأغلب هؤلاء الرجالين، ومن بعدهم الباحثون المهتمون، لم يأتوا إلى الجنوب المغربي من دون معلومات سابقة؛ فهم يقومون بأبحاثهم ويوجهونها انطلاقاً مما يتوفرون عليه من كتب تناولت هذه المنطقة؛ ما أثر في قيمة معلوماتهم [...] فالنسق الدلالي المرتبط بها يصبح موجهاً لما سيكتبونه أو يحكونه مستقبلاً"<sup>(13)</sup>.

ينضاف إلى ذلك جهل جل المستكشفين بلسان السكان المحليين من الحسانية والأمازيغية واللغة العربية الفصحى؛ ما مثل حاجزاً دون تفاهتهم مع "البيضان" أو الأمازيغ، ولتجاوز هذه الصعاب عملت الإدارة الفرنسية على تمكين الرجالين من تعلم اللغة العربية قبل سفرهم، والاطلاع على التقاليد المحلية وبعض مبادئ الدين الإسلامي. كما أنها جندت رجالين ينحدرون من السنغال ومن المنطقة، وهي معتقدة بذلك أنها توفر سبل إنجاح رحلات استكشافها، باعتبار أنهم متعددون على المناخ، وعاداتهم قرية من العادات التي سيصادفونها، ومن أبرز هؤلاء ليوبولد پاني وابن المقاداد وأبو السرور.

ولتجاوز هذه العائق؛ لجأ الرحالة إلى التخفي أو طلب حماية أحد الصلحاء أو الأعيان، وهو الأمر الذي وضّحه كابي في نصه الرّحلي؛ إذ أوضح أن "من يطمح إلى النجاح في مهمته يجب أن يكون مسلماً أو متذمراً في هيئة مسلم، أو أن يستخدم جيشاً صغيراً مجهزاً جيداً أو مزوداً بالهدايا"<sup>(14)</sup>. وتبقى فكرة الرحالة ميشيل فيوشونج Michel Vieuchange فريدة؛ إذ قطع المسافة بين مراكش والسمارة متخفيًا في زيّ امرأة أمازيغية.

وعلى الرغم من امتداد المغرب على مشارف أوروبا، فإنه ظل إلى بداية القرن العشرين غير معروف بما فيه الكفاية، مع تعدد الكتابات الفرنسية حول المغرب ما قبل القرن التاسع عشر<sup>(15)</sup>. فدراسة أحوال سكانه عرفت الكثير من النواقص، ما "استدعاي التفكير في تلوين

10 Louis Gentil, *Voyages des explorations dans l'Atlas Marocain* (Paris: Publication du Comité de L'Afrique Française, 1924), p. 59.

11 Hubert Deschamps, *L'Europe découvre l'Afrique Occidentale* (Paris: Berger Levraut, 1974), p. 249.

12 Ibid., p. 249.

13 Ahmed Joumani, *Oued Noun- sud de Maroc- Mythes et réalités* (Paris: Editions l'Harmattan, 2006), p. 79.

14 René Caillié, *Le Voyage de René Caillié à Tombouctou et à travers l'Afrique 1824 - 1828* (Paris: Publié par Jaques Boulenger, Plon, 1932), p. 142.

15 هناك كتابات أوروبية عديدة حول المغرب ما قبل القرن التاسع عشر، نذكر منها على سبيل المثال: Morsy Magali, *La Relation de Thomas Pellou: Une lecture du Maroc au 18<sup>ème</sup> siècle* (Paris: édition recherche sur les civilisations, 1983); Dominique Busnot, *Histoire du règne de Moulay Ismael, roi de Maroc*, 2<sup>ème</sup> éd. (Rouen: G. Behourt, 1973); Germain Mouette, *Relation de la captivité du Sr Mouette dans les royaumes de Fès et de Maroc* (Paris: Jean Cochart, 1983).

البعض البيضاء الموجودة في خريطة المغرب والتي تجعل العجائب يغلق التخييلات<sup>(16)</sup>، بحسب قول لوبيل، وهذا ما جعل روبير مونطاني يصرح بدوره بـ"أن عدم كفاية المصادر التاريخية للقرن التاسع عشر تستلزم القيام بأبحاث مباشرة، فالوثائق التي تسمح لنا بمعرفة تاريخ الجنوب العربي قليلة، فكتابات المؤرخين أكنسوس وأحمد الناصري توضح لنا فقط المظاهر التي تواافق الحياة بالإمبراطورية الشريفة [...]" وسبب النصوص غير المكتملة والتي عن طريقها يمكننا معرفة سياسة المخزن في الجنوب العربي خلال هذا القرن، فإن معلوماتنا تبقى بذلك ناقصة<sup>(17)</sup>. وهو الأمر الذي جعل الرحاليين الذين زاروا المغرب يصرحون بأن المغرب بالنسبة إليهم ما زال "كتاباً مغلقاً، لم يقرأه أحد إلى الآن"<sup>(18)</sup>. وبحق، يمثل المغرب حالة مفارقة في تاريخ الاستكشافات الأوروبية، فعلى الرغم من أنه لا يبعد عن أوروبا إلا بمسافة تقل عن 15 كلم، وهي طول مضيق جبل طارق الذي يفصل إسبانيا عن المغرب، فإن الرحلات الأوروبية ظلت مدةً طويلةً صعبة التحقيق، إلى درجة أنه مع بداية القرن العشرين لم تعد أية دولة مستعصية أمام المد الاستكشافي حتى الأشدّ بعداً وانغلاقاً. فهذا جيرارد رولفس يقول: "إن انغلاق المغرب كان أشدّ سوءاً من انغلاق الصين التي هي على الأقل تتحفظ بعلاقات دبلوماسية مع الدول المسيحية، فالنيل يبقى مغلقاً بإحكام"<sup>(19)</sup>.

جعلت هذه الحقيقة التساؤل عن أسباب هذا الجهل أمراً مشروعاً، في وقت تتحقق اختراق أميركا وأسيا وقلب أفريقيا. وإذا كان هذا يقال عن المغرب القريب من أوروبا فإن الجزء الجنوبي منه كان التسلل إليه ضرورة من ضروب المستحيل، على الرغم من أن "الصحراء مثلت منذ عقود سحقيقة مجال اهتمام العديد من الإمبراطوريات [...]" إذ ما انفك فرنسا وإسبانيا تبديان اهتماماً بالمنطقة [...]. فأرسلت لهذا الغرض مبعوثين لها<sup>(20)</sup>. فهل يجب إرجاع ذلك، كما فعل ديشان، إلى الطبيعة المتمثلة في الصحراء والساحل الذي يعد حاجزاً طبيعياً، أم إلى المناخ والحمى والإسهال، أم إلى الإنسان المعادي للمسيحيين، أم إلى التجزئة والاضطرابات السياسية؟<sup>(21)</sup>.

كانت معرفة المغرب عامة، وجنوبه علىخصوص، مقتصرة على ما ورد في كتاب ليون الأفريقي وصف أفريقيا، وعلى شهادات الأسرى الأوروبيين الذين تم افتراكهم أو الذين توسطوا في ذلك، إضافة إلى تقارير السفراء. فكانت "رواياتهم تتعج بالغرائب، وقد وجدت إقبالاً كبيراً في وسط كان يُقبل على قراءة هذه الأخبار بهم"<sup>(22)</sup>، وكانت تغدو فضوله للتعرف إلى عوالم مخالفة بالضرورة لواقعه المتحول، الآخذ حتماً في التخلص عن روحه والارتقاء في أحضان التحولات التي أفرزتها الثورة الصناعية. وهكذا قدم المغرب عامة والصحراء على الخصوص في أحيان كثيرة "كآخر معلم للجمال، وأحياناً كمتحف للحضارة الإسلامية"<sup>(23)</sup>. أو "مجالاً للوحشية والهمجية"<sup>(24)</sup>، هو "عالم معزول منغلق، كامل وخصوصي [...]" إننا لا يمكننا مقاومة أحاسيس مقاومة ومحنة<sup>(25)</sup>.

16 Lebel, p. 224.

17 Robert Montagne, *Les Berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc*, Collection Archives (Casablanca: Afrique ouest, 1989), p. 127.

18 Khaled Lazaare, "Le Maroc dans les récits de voyages allemands du XIX ème siècle," in: Mohammad Hammam, *Al Rihla entre l'orient et l'occident* (Rabat: F.L.S.H, 2003), p. 115.

19 Gérard Rohlfs, *Voyages et explorations au Sahara (1861-1864)*, Jacques Debetz (trad.), (Paris: Karthala, 2001), p. 315.

20 حسن الطالب، "صور الساكنة في القرن التاسع عشر من خلال نماذج من الرحلات الغربية"، في: رحال بوبريك (شرف)، *الصحراء الأطلنطية: الإنسان والمال* (الرباط: مشورات وكالة تنمية أقاليم الجنوب، 2007)، ص. 135.

21 Hubert Deschamps, *Histoire des explorations*, que sais-je ? no. 150 (Paris: Presses universitaire de France, 1969), p. 73.

22 Jacques Ladréte de la Charrière, "Dans le sud et l'ouest du Maroc," *Renseignement coloniaux*, no. 4 (1924), p. 172.

23 Ibid.

24 Daniel Rivet, "Exotisme et 'pénétration scientifique', l'effort de la découverte de Maroc par les français au début du XX° siècle," in: Jean-Claude Vatin (ed.), *Connaissance du Maghreb: Sciences Sociales et Colonisation* (Paris: CNRS, 1984), p. 5.

25 Eugen, p. 194.

إن هذه العلاقة الملتبسة يمكن البحث عن تفسير لها في العلاقات التاريخية بين البلدين، وهو الاستنتاج نفسه الذي توصل إليه بعض المؤرخين الفرنسيين، فدو كاس، على سبيل المثال، كتب: "فكمما هو معروف، كان تاريخ العلاقات المغربية الفرنسية، مشحوناً بالعنف مدة قرون في تطويق وعي هؤلاء ضد أولئك، وإثارة الخوف والكراهيّة وعدم الفهم، فضلاً عن خلق ميّثات، وتكثير الصراعات والمعارضات وتفاقم الضغائن. هذه العلاقات بدأت منذ الحروب الصليبية حتى ظهور حركات التحرر من الاستعمار الحديث"<sup>(26)</sup>.

إلا أن التحولات التي عرفتها المنطقة خلال القرن التاسع عشر، والتي دشنّتها فرنسا باحتلال الجزائر سنة 1830، وما أعقّ ذلك من أحداث كانت باكورتها هزيمة المغرب في معركة "إسلي" في سنة 1844، والتي أظهرت هشاشة المغرب؛ إذ رجحت ميزان القوة بين المغرب وفرنسا لمصلحة الدولة الأوروبيّة، وكانت دافعاً إلى تطاول دول أوروبية أخرى عليه. وهكذا صار يترسخ في فرنسا تصوّر جديد حول المغرب الذي لم يعد "دولة متواحشة ودولة العجائب والإثارة والخوارق كما هو شأن الشرق"<sup>(27)</sup>، بل غداً بلداً "يمكن أن يصبح في يوم ما جزءاً من الإمبراطورية الفرنسية، فرنسا الديموقراطية التي يمكنها أن تقوّده بخطى ثابتة نحو التطور"<sup>(28)</sup>. لهذا حاولت فرنسا تفيف مخطّطها في مرحلتين؛ الأولى مهدت للثانية، ووفرت لها أسس النجاح، فقد كانت تروم تحقيق تغلّل بطيء ضمّاناً لنجاعته وفاعليته. ويمكن اختزال هذه السيرورة فيما يلي:

- فترة استكشاف المغرب، ودراسته دراسة علمية كفيلة بجعل ساسة فرنسا يتعرّفون إلى الأرض التي يجب أن يتقدّموا فيها<sup>(29)</sup>.
- فترة السيادة الفعلية، بحيث كان على فرنسا، كما قال توماسي، "أن تبادر إلى التعرّف إلى ساحة المعركة، حيث تنتظّرها مصائر تزداد مجدّداً كلما كانت أقلّ دمويّة، وانتصارات تزداد رسوحاً كلما تم الحصول عليها بأسلحة أكثر سلميّة [...]" إن العلم هو أحد هذه الأسلحة، وأول سلاح ينبغي توظيفه؛ لأنّه هو الذي سيعمل على تعبيد الأرضية التي ينبغي الزحف إليها<sup>(30)</sup>. ومن هذا المنطلق كان الرحّالون في البداية "منفردين وكشافين بالمعنى الدقيق للكلمة، متّجسسين ملقطين جميع المعلومات التي قد يستغلّها ذات يوم جيش بروم الغزو"<sup>(31)</sup>. هكذا ستتشكل الرحلات مصدرًا مهمًا للمعلومات التي سوف يستغلّها المستعمر في وضع مخطّطاته الإستراتيجية الحرّية منها والمدنية، وما يدعم ذلك ما جاء في تقديم كتاب *التعريف إلى المغرب*. إن كتاب شارل دوفوكو كان يُدرس للضباط الفرنسيين العاملين بالمغرب<sup>(32)</sup>، فليس هناك فرق بين البحث العلمي والعمل السياسي والعسكري. والاكتشاف أداة من أدوات الغزو<sup>(33)</sup>.

## النص الرّحلي ومحاذير اعتماده في كتابة تاريخ المغرب خلال القرن التاسع عشر

إن من النواقص الكبيرة للنص الرّحلي والتي جعلت الكثيرون من الدارسين يتحفظون في التسلّيم بمضامينه، هو صعوبة عزل ذات الرحالة عن الشيء الموصوف، ما دام الرحالة يعبر انتطلاقاً من رؤية عصره وقيم موطنه وثقافته، ويؤكّد ذلك عمر أفا بقوله: "فالرصيد

26 Guy Dugas, "Contribution à l'état des recherches imagologiques au Maghreb," *Échanges*, no. 3 (1979), p. 333.

27 Rivet, p. 5.

28 Eugen, p. 194.

29 Raymond Thomassy, *Le Maroc relation de la France avec cet empire*, 2<sup>nd</sup> éd. (Paris: F.D.DOT, 1859), p. 92.

30 Ibid., p. 13.

31 جرمان عياش، دراسات في تاريخ المغرب (الدار البيضاء: الشركة المغربية للناشرين المتحدين، 1982)، ص 15.

32 Charles de Foucauld, *Reconnaissance au Maroc: 1883 - 1884* (Paris: Librairie Coloniale, 1988), p. 5.

33 أحمد الأزمي، "رحلة دوفوكو إلى المغرب (1884-1883)"، في: حمام، ص 208.

المعرفي للرحلة يختزن خصيّة ثقافة المؤلف، وتنعكس هذه الثقافة على كل الشهادات التي أدلّى بها خلال رحلته، لذلك فأنباء قراءة الرحلة، يكون من الضروري إقامة جدلية بين أطراف الخطاب لمعرفة مضمون الشهادات الواردة فيها، وذلك باستبطان ثقافة الرحالة التي تُعدُّ الرحلة مصدراً لها".<sup>(34)</sup>

وبزداد الأمر تعقيداً عندما يتعلّق الأمر برحاليين أجانب مختلفي الثقافة والديانة عن موطن الرحلة، وهو ما يتضح جلياً عند جردن البعض للأحكام التي وردت في بعض النصوص الرحالية الفرنسية إلى جنوب المغرب في القرن التاسع عشر، وخاصةً إذا ما سلمنا بأن جلهم جاء في أوضاع خاصةً ولتحقيق غاية قصوى هي تيسير احتلال البلاد، ويدعى أن يكون الرحالة معبراً انطلاقاً من هذه الخلفية، ما دامت "الرحلات الجميلة لا قلب لها"<sup>(35)</sup>، بحسب تعبير إلياس كانيتي، فجاءت أحكام الرحاليين في هذه الفترة غنية بالأحكام، ومعبرة عن الإحساس بالتفوق مقابل تخلّف هذه المجتمعات (موضوع الرحلات) وخرافيتها؛ "فهذا الزنجي المتواحش والمختلف قادر على أن تصدر منه كل الأفعال الدينية [...]"، محكوم عليه أن يعيش في بلده الأصلي في توحش وتخلّف [...]"، لكن غياب أية فكرة عن التقدم، وأي إحساس أخلاقي لا يسمح له بإدراك القيمة التي لا تعدّ لقوة العمل [...]"، وقوانينهم ليست إلا انفعالات عنيفة [...]"، يعيشون المغامرات يومياً، غير مكتفين للغد"<sup>(36)</sup>، فنوج جنوب المغرب "ليست لهم أية ديانة، ويقادون لا يميزون يمناهم من يسراهم"<sup>(37)</sup>، فهم متواحشون ينقصهم الفهم، مختلفون وجهلة وكمالي ومكتفون وقدريون، ويمثّل مرفاق ليوبولد باني نموذجاً معبراً عنهم "ففي هذا الزنجي تتمثل كل العقد المعروفة وغير المعروفة".<sup>(38)</sup>

هذا الخلفية هي التي جعلت كلود ليوزو يكتب: "إن الشرق هو التقاء بين العجائبة والسخرية"<sup>(39)</sup>، وهي التي أوحّت إلى برونو بأن الشرق "جنة جهنمية"<sup>(40)</sup>، وإلى شفريلون بأن الشرق "يمثّل حالة للاغتراب والجنون وبنية متلاحمّة".<sup>(41)</sup> من هذا المنطلق يصبح الاختلاف حاجزاً أمام رصد مضمونين أكثر موضوعية وأكثر اتزاناً داخل النص الرحلي. لقد أقرّ تودروف بصعوبة معطى الاختلاف، "الذى ينفي كل صوت ثالث، إذ ليس من السهل تقبل الآخر ككائن تام الاكتفاء، تعلّه خيراً وشرّاً بحسب الحالات".<sup>(42)</sup> زد على ذلك أن الرحالة يكتب عن الآخر انطلاقاً من وضع مقارنات بينه وبين المجال موطن الرحلة، وبين قيم وطنه والقيم السائدة في مكان الرحلة، وهو الأمر الذي جعل لأن روسيو يخلص إلى إنه "منذ ثلاثة سنتين، أو أربعين سنة، وسكن أوروبا يغرقون الأجزاء الأخرى من العالم بكتاباتهم، وينشرون من دون انقطاع مجامع جديدة لرحلاتهم وعلاقتهم، لكنني اكتشفت أننا لا نعرف أنساناً غير الأوروبيين".<sup>(43)</sup> إنه "من المؤكد أن الإنسانية في كل الأمكنة والأزمنة قد انتهت عند حدود القبيلة، أو المجموعة اللغوية، وأحياناً في حدود القرية".<sup>(44)</sup>

34 عمر أفا، "الرحلة مصدر الكتابة التاريخية: طبعة من خلال رحلة أحمد بن طوير الجنة الشنقيطي في القرن 19"، في: المرجع نفسه، ص 83.

35 إلياس كانيتي، *أصوات مراكش*، ترجمة: حسونة المصباحي (الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 1988)، ص 15.

36 Armand Dubarry, *Voyage au Dahomey* (Paris: Maurice Dreyfous Editeurs, 1897), p. 133.

37 Panet, p. 57.

38 Ibid., p. 181.

39 Claude Liauzu, *Race et civilisation: l'autre dans la culture occidentale* (Paris: Syros-alternatives, 1992), p. 266.

40 Etienne Bruno, "Ecriture, saints, désert, monothéisme et imaginaire: le Maghreb, dans l'imaginaire français," *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, vol. 37, no. 37 (1984), p. 133.

41 André Chevrillon, *Un crépuscule d'islam: Fès en 1905* (Paris: Hachette, 1906), p. 77.

42 Tzvetan Todorov, *Nous et les autres: La réflexion française sur la diversité humaine* (Paris: Seuil, 1989), p. 36.

43 Alain Ruscio, *Le Credo de l'homme blanc; regards coloniaux français XIX<sup>e</sup>-XX<sup>e</sup> siècles* (Paris: édition complexe, 1995), p. 11.

44 Ibid., p. 12.

ما دام "قارئ الرحلة لا يطلع على العالم الذي ينطلق إليه المسافر صاحب الرحلة فحسب، بل يتعرف إلى أفكار وتصورات ورؤى لذلك الذي يتحدث عن موضوع رحلته، وينقل إليه مشاهدات من البلد أو البلاد الذي ينطلق إليها" (45).

هذا الأمر جعل الحجومري يكتب إن الرحلات الفرنسية إلى المغرب إلى جانب الكتابات الأخرى المسمى استعمارية "لم تعمل إلا على إماتته اللثام والكشف عن صورة كانت خفية، وميّتا Myte مكوناً من عناصر مختلفة، تكون انتلاقاً من الأدب المرتبط بالشرق والحضارة العربية والإفريقية. نكتشف، إذًا، هذا الاحتقار اتجاه العرب الذي عمل التوسيع الاستعماري على تكثيفه، والذي تكون في اللاوعي الجماعي للمجتمع الفرنسي منذ قرون، إنه حقد الحروب الصليبية" (46).

نجد في الكتابات الأوروبية عامة والفرنسية خاصة تكريساً لصورة نمطية متكررة، تعبّر بجلاء عن مكونات هذا الآخر اتجاه المغاربة إن ما طبع صورة المغربي في ذهنية الرحالة الأوروبي طوال قرون عده هو النفور، فهو لم يتحدث عن هذا الإنسان بموضوعية إلا قليلاً [...]. أثر الوضع المكاني (بلاد البربر) بكل حمولاته الدلالية في العقليّة الأوروبيّة منذ الـقدم، فكان قرب مناطق المغرب أو بعدها عن أوروبا يحدد درجة تحضيرها. فكلما كانت المناطق أبعد كان التخلف والتلوّح أكثر [...]. لقد جعل هذا من حضارة المغربي حضارة "التكرار" و"النسخ" مقابل حضارة الأوروبي المبنية على أساس "الإبداع" و"الاختراع" و"التنوع" و"التجديد" و"الابتكار" و"التخلف" و"التقدم" (47). لم يكن ينظر إلى المغربي عموماً إلا من خلال مسبقات دينية واجتماعية ترسّب في المتخيّل الجماعي للأوروبيين منذ زمن طويل، فهو كما كتب عبد السلام حيمير: "محارب شرس، مرعوب يتزوج بأربع زوجات، يسرق ويزني، ويمارس اللواط، متغصّب، وتعصّب بادٍ في فرضه الحجاب على المرأة بوصفها حريمًا، وفي اتباعه نمط عيش خشنًا، يستبعد بعض مباهج الحياة كالخمر ولحم الخنزير [...]" إضافة إلى كونه طماعاً متهاوّاً على المال (48). إنه في جملة واحدة "حيوان يستحق الإبادة أو في ألطاف الحالات يحتاج إلى ترويض الأوروبي له" (49). وبما أن هناك إقراراً بمحدودية واقعية هذه الصورة بوصفها تتطلّق من دوافع معلومة، وتهدّف إلى تحقيق مقاصد معروفة، فإنها قلما تكون صادقة أمينة. في تعبيرها عن طبيعة البلد ونفسية ساكنيه، بل كثيراً ما تختلط الحقائق فيها بمزاعم لا أصل لها، أو تأويلات مبالغ فيها، فتخرج بذلك عن حدود الواقع، وتصير في جملتها من خلق الأدب المختلفة" (50). وهذا لسبب بسيط؛ لكون "ما من صورة إلا وترتبط بوعي كييفما كان حجمها [...]. ولكونها تمثل واقعاً ثقافياً أجنبياً يكشف عبره الفرد أو الجماعة المكونة له [...]" عن الفضاء الأيديولوجي الذي يتّموضع داخله" (51). لذلك لم يكن الكاتب الأوروبي والرحالة على النصوص في كثير من الأحوال، بحسب تعبير عبد النبي ذاكر، "قارئًا ل الواقع المغربي، بقدر ما كان قارئًا لنصوص سابقيه ومعاصريه [...]"؛ الشيء الذي يضيق حدود الواقع في فضاء الرحلة الأوروبي إلى "بعد حد" (52). وبهذا فغالباً ما يختلط في النص الرحلاني المتخيّل بالحقائق. إن المعلومات الخاطئة عن شعب ما تعرّف انتشاراً كبيراً عند الأئمّة البعيدة، وإن جهلهم بحقائق الأمور، يجعلهم يعتمدون في معرفتهم المشوّشة على ما ينطلق إليهم "ما دامت الأخطاء تنتقل بطريقة أسرع وأفضل مما تنتقل الحقائق" (53). وهو ما جعل الكثيرون من النصوص الرحلية عرضة لسهام النقد.

45 عبد السلام حيمير، *المغرب الإسلام والحداثة*، سلسلة شرفات 15 (الدار البيضاء: منشورات الزمن، 2005)، ص. 9.

46 Abdeljalil Lahjomri, *Le Maroc des heures française* (Rabat: édition Marsam et Stouki, 1999), p. 18.

47 عبد النبي ذاكر، *المغرب وأوروبا: نظرات متقطعة*، ط 2 (أكادير: منشورات كلية الأداب والعلوم الإنسانية، 2007)، ص 219.

48 حيمير، ص 134.

49 ذاكر، ص 219.

50 محمد غييمي هلال، *الأدب المقارن*، ط 5 (بيروت: دار العودة ودار الثقافة، د.ت.)، ص 422.

51 سعيد علوش، *عنف المتخيّل* (الدار البيضاء: المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع، 1986)، ص 137.

52 ذاكر، ص 220.

53 كلود بيشوا وأندريه روسو ميشيل، *الأدب المقارن*، ترجمة رجاء عبد المنعم حر (الكويت: مكتبة دار العروبة، 1980)، ص 87.

## مراجعات تمثل الفرنسيين للمغرب والمغاربة خلال القرن التاسع عشر

إن الإقرار بكثرة مزالق النصوص الغيرية والرحلية على الخصوص، يستدعي التنقيب عن المراجعات الموجهة لهذا الفكر الذي كان سائدًا خلال هذه الفترة، والذي ألهب خيال الرحاليين وشجعهم على المغامرة واختراق مجالات كانت مغمورة قبلهم أو شبه معلومة عندهم، ويمكن إرجاع ذلك إلى المتركتزات الآتية:

✿ المرجعية الأولى: ترسّخ الأفكار الرومانية واليسوعية أدى إلى "تقسيم الجنس البشري إلى مؤمن وغير مؤمن (أي غير مسيحي)"، وهو ما يعني إلزامية انتزاع الشعوب من "توحشها" لأن غير المسيحي هو بالطبيعة شرير<sup>(54)</sup>، ما جعل كثيرًا من الأوروبيين يوقنون بأن مجتمعات القارة العجوز تمثل أوج الرقى والنهاية المعقولة للتاريخ البشري، وهذا ما يكسر الجزم في الاعتقاد بمقولات كانت شائعة؛ ككون الصفر يعيشون في الماضي، والسود في الحاضر، والبيض في المستقبل<sup>(55)</sup>. وبهذا، فإن أفريقيا، كما كتب شلاري "لم تعرف بعد الرقى، وما زالت في مرحلة الطفولة، كسكانها الذين يعيشون ليومهم [...]"، وأوروبا هي وحدها القادرة على إحداث مستقبل فيها لا يعرف التطور فيه انقطاعاً<sup>(56)</sup>. إن هذا ما يفسر ذلك الحضور القوي للوجود الروماني في المغرب في مخيلة هؤلاء الرحاليين، وهو أمر كان شائعاً عند منظري هذه الفترة، وهو ما جعل جاك جاك فومو يتذمر بقوله: "لقد احتل هؤلاء الرومان طفولتنا"<sup>(57)</sup>. إن هذا الفكرة وجدت استمراريتها إلى يومنا هذا، ووُجدت مروجين لها<sup>(58)</sup>.

كانت روما بالفعل نموذجاً حضارياً في نظر منظري الاستعمار الفرنسي، فلم يستسيغوا "غلاطة" المغاربة في رفضهم الاحتلال الروماني، لقد طلب المارشال روندان Randon من فريديريك لاكرروا F. Lacroix "دراسة النظام الاستعماري الذي تبناه الرومان بأفريقيا، وعلى الخصوص كيف تمكنوا من تنظيم هذا البلد، وكيف كانت نظمهم الفلاحية والعقارية، والإدارية، والقانونية، والسياسية، والدينية، والعسكرية [...]" وكيف كانت النتائج الاقتصادية للهيمنة الرومانية على المنطقة، ودور التأثير الروماني على السكان، وما هي أسباب أفالوه؟<sup>(59)</sup> من هنا، كان مصدر تلك النظرة التحقيرية الانتقادية ذات البعد الاستعماري، والتي حاولت أن تعتمد مرجعية تاريخية تهدف إضعاف المشروعية على الاستعمار، فلم يكن الرحالة في حاجة إلى خلق ما يهمه من الغرائب لوجود عدد لا يحصى من الميليات التي مرت بأيدي عدد من الكتاب، والتي ما زالت صالحة للاستعمال<sup>(60)</sup>. وهو ما تُرجم عملياً عندما وجدوا أوضاع المغرب ملائمة لتكرييس هذه النظرة لتبرير واقعيتها. لقد حاولوا، بحسب تعبير الحجومري، "أن يعطوا هذه الحضارة طلقة الرحمة التي تبقيها تحت السيطرة الدائمة، وتضمن تفوقاً ضرورياً للغرب لتغذية طموحاته السياسية"<sup>(61)</sup>.

✿ المرجعية الثانية: نربطها بالعلاقة بين الغرب والشرق، وهي تمثل علاقة تضاد، سواء على المستوى الواقعي أو الوجودي، فدائماً ما تقام المقابلة والمقارنة انتلاقاً من ملاحظة الذات في مواجهة الآخر، وبهذا مثل الشرق للغرب: التخلف / التقدم، والجمود / التغيير، والخرافة / العقل.

54 سمير بوزويته، *مكر الصورة: المغرب في الكتابات الفرنسية 1832 - 1912* (الدار البيضاء: منشورات أفريقيا الشرق، 2006)، ص 14.

55 Louis Mallert, *L'exotisme indochinois dans la littérature française depuis 1860* (Paris: Larousse, 1934), p. 80.

56 Félicien Challaye, *Le Congo Français* (Paris: Cahiers de la quinzaine série, 1906), p. 17.

57 Jacques Femaux, *Le Maghreb fantasmatique souvenirs de Rome et présence français au Maghreb: essai d'investigation, connaissance du Maghreb* (Paris: L. N. R .E, 1984), p. 30.

58 Ibid., p. 31.

59 Frédéric La croix, "La Colonisation et administration, Romains dans l'Afrique septentrionale," *Revue Africaine*, no. 41 (1863), pp. 364 - 366.

60 ذاكر، ص 206

61 Lahjomri, p. 19.

لذلك فإن "الشرق حضارة جامدة في الوقت الذي تتحرك فيه حضارتنا، إن الإنسان هنا خاضع للقدرة، والمؤسسات الثابتة، والتقنية التقليدية من دون سبق إلى الابتكار [...]" هذا الشرق أرض للهروب، وموضوع متكرر للأدب<sup>(62)</sup>. كما كتب جان روبيرت هنري. أصبحت هاتان المرجعيتان محفزتين للمد الاستعماري، وكانتا أساس الفكر الغازي بغية تحقيق فكرة "الإمبراطورية الفرنسية الأفريقية" التي في إمكانها تحقيق نتائج مماثلة لتلك التي حققتها الإمبراطورية الرومانية بشمال أفريقيا. لهذا، كان بديهيًا أن ينظر إلى المغرب من هذه الزاوية التحقيقية، وأن لفرنسا رسالة مجيدة تمثل في تطوير هذا "الشعب المتواحسن". لقد لخص ذلك فيكتور بيكي بقوله: "أقحم الفرنسيون المجتمع المغربي ضمن المجتمعات السفلية، فعلى الرغم من إشادتهم بالعنصر البربرى، فقد عدّوا العنصر العربى أكثر تحضرًا منه؛ إذ وصفوا الأول بالليل الغربي إلى الشغب والفوضى والنها والسلب"<sup>(63)</sup>.

كان ترويج صورة المغرب البدائي والمتخلف يهدف إلى تحقيق غايتين أساسيتين؛ أولهما دفع الرأي العام الفرنسي إلى الانخراط في المشروع الاستعماري، بوصفه رسالة سامية تهدف إلى اقتسام الرقي الحضاري الذي حققته فرنسا مع هذا الشعب المتخلف، وثانيهما جعل المغاربة يدركون تخلفهم مقارنة بهذه الدولة التي حققت انتصارات عسكرية مشينة بفضل تقدمها، وذلك بغية تهينتهم "لتقبل الاستعمار الفرنسي، انطلاقاً من اقتاعتهم بهذه الصورة"<sup>(64)</sup>. والاعتقاد بصحتها والتطلع إلى تجاوزها ما دام "الإنسان البربرى (كما كتب ميشو بلير) قابلاً للتطور والتكييف مع الأوضاع الجديدة وأكثر استعداداً للبدء 'حياة جديدة' وخاصة بعد أن بدأ للدولة الفرنسية مدى هشاشة صناعة الدولة المغربية، التي ظلت إلى عهد قريب عالماً مجدهاً ومهيباً بالخيانة والكسل"<sup>(65)</sup>. انعكس هذا على كتابات هؤلاء الرحاليين مجدهم كل أخلاق البربرى وتقاليده وعاداته على غرار العربي الذي اتهم بالخيانة والكسل<sup>(66)</sup>. انعكس هذا على كتابات هؤلاء الرحاليين الذين قدموا "كل ما قد يستفيد منه الجيش والإدارة الفرنسية، بغية استعمار المغرب، فاهتموا بشتى الجوانب من وصف للبلاد ودراسة للعقليات، وتحليل للخصائص الإثنية لسكانه، ومعرفة معتقداتهم وتقاليدهم"<sup>(66)</sup>.

## خاتمة

كان من نتائج تطور الرأسمالية في أوروبا خلال القرن التاسع عشر؛ ظهور الحركة الإمبريالية، والتي كان من مظاهرها دخول دولها الصناعية في سياق محموم للسيطرة على الأسواق الخارجية؛ لتصريف الفائض من البضائع المصنعة ومن رؤوس الأموال، وتلبية حاجات معاملها المتزايدة من المعادن ومصادر الطاقة والمنتجات الفلاحية. لذلك قامت هذه الدول بتشجيع الرحاليين والمغامرين لاستكشاف الأصقاع الأخرى تمهيداً لـإحكام سيطرتها على هذه البلدان واستغلالها اقتصادياً وسياسياً.

مثل احتلال فرنسا للجزائر والسنغال عاملًا عجل بارسالها الجوايس والمكتشفين إلى الجنوب المغربي بهدف البحث عن سبل ربط الاتصال المباشر بين مستعمرتيها، والقضاء نهائياً على الوساطة التجارية التي كانت تقوم بها قبائل المنطقة، وكذلك للوقوف على المؤهلات الطبيعية لهذا المجال.

<sup>62</sup> Jean-Robert Henry, *Le Maghreb dans l'imaginaire français: la colonie- le désert, l'exil*, Collection Maghreb Contemporain (Tunis: Edisud, 1985), p. 6.

<sup>63</sup> Victor Piquet, *Le peuple Marocain: Le bloc berbère* (Paris: Emile Larose, 1925), pp. 115 - 116.

<sup>64</sup> محمد وقيدي، العلوم الإنسانية والأيدلوجيا (المحمدية: منشورات عكاظ، مطبعة فضالة، 1988)، ص. 117

<sup>65</sup> Édouard Michaux-Bellaire, *Fès et les tribus berbères en 1910*, Archives Berbères, 1920, p. 6.

<sup>66</sup> Ibid., p. 402.

حاول الكثير من الرحاليين في فترات مختلفة اختراق شرقة قبائل المنطقة، منهم من نجح في ذلك ومنهم من فشل، فقام من نجح بكتابه تقارير عن رحلته، محاولاً استعادة ملاحظاته وانطباعاته، فجاءت معبرة عن العقلية الأوروبية السائدة في هذا الوقت، فكانت الأحكام التي حفلت بها متكررة؛ تميل نحو التقييس من شأن أهل المنطقة مقابل إظهار رقيّ أهل صاحب الرحلة، على نحو ظاهر أو مضموم. وبهذا، لا تعدو هذه الرحلات أن تكون وجهاً معيناً من الحقيقة. وعموماً، لم تجتمع الأوضاع لتطيي صورة أمينة وكاملة عن المنطقة. وما دامت الكتابة نوعاً من الانسياق اللغوي الذي يختلط فيه الذاتي والموضوعي؛ فإن الاعتماد عليها مصدراً من مصادر الكتابة التاريخية يستدعي جملة من الإجراءات الاحترازية؛ أولها استحضار الخلفية الاستعمارية الموجّهة لهذه الرحلات، والتي نجدها مكشوفة بجلاء في هذه النصوص، ما جعل النظرة الدونية للظواهر الملاحظة تطغى على كلام الراوي الذي ينسى المهمة التي أوكلت إليه، والمتمثلة في جمع أكبر قدر من المعلومات المختلفة في حياد مأمول فيه أن يكون تاماً.

لهذا، نعتقد أنه من اللازم ضبط السياق العام الذي تمت فيه هذه الرحلات، مع التدقيق في حياة أصحابها ومقاصدها، واعتماد ما ورد فيها باحتراز كبير، يستدعي تفكيك نصوص هذه الرحلات، والعمل على مقابلتها بنصوص من الشاكلة عينها، أو بكتابات محلية للتحكم في مضامينها حتى يتم تفادي أحكام القيمة التي قد تستهوي دارسها.



## المراجع

### العربية

- بن محمدن، محمدو. المجتمع البيضاوي في القرن التاسع عشر: قراءة في الرحلات الاستكشافية الفرنسية. سلسلة بحوث دراسات 8. الرباط: منشورات معهد الدراسات الأفريقية، 2001.
- بوبيريك، رحال (مشرف). الصحراء الأطلسية: الإنسان وال المجال. الرباط: منشورات وكالة تنمية أقاليم الجنوب، 2007.
- بوزويته، سمير. مكر الصورة: المغرب في الكتابات الفرنسية 1832 - 1912. الدار البيضاء: منشورات أفريقيا الشرق، 2006.
- بيشوا، كلود وأندريه روسو ميشيل. الأدب المقارن. ترجمة رجاء عبد المنعم حبر. الكويت: مكتبة دار العروبة، 1980.
- حمام، محمد. الرحلة بين الشرق والغرب. سلسلة ندوات ومناظرات 110. الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2003.
- حيمر، عبد السلام. المغرب الإسلام والحداثة. سلسلة شرفات 15. الدار البيضاء: منشورات الزمن، 2005.
- ذاكر، عبد النبي. المغرب وأوروبا: نظارات متقطعة. ط 2. أكادير: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2007.
- علوش، سعيد. عnf المتخيل. الدار البيضاء: المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع، 1986.
- كانيتي، إلياس. أصوات مراكش. ترجمة: حسونة المصباحي. الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 1988.
- الهروي، الهادي. القبيلة الإقطاع والمخزن: مقارنة سوسيولوجية للمجتمع المغربي الحديث 1844 / 1934. الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، 2004.
- هلال، محمد غنيمي. الأدب المقارن. ط 5. بيروت: دار العودة ودار الثقافة، د. ت.
- وقيدي، محمد. العلوم الإنسانية والأيدلوجيا. المحمدية: منشورات عكاظ، مطبعة فضالة، 1988.

### الأجنبية

- Barbier, Maurice. *Voyages et exploitations au Sahara occidental au XIX<sup>o</sup> siècle*. Paris: Editions l'Harmattan, 1985.
- Bruno, Etienne. "Ecriture, saints, désert, monothéisme et imaginaire: le Maghreb, dans l'imaginaire français." *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*. vol. 37. no. 37 (1984).
- Busnot, Dominique. *Histoire du règne de Moulay Ismael, roi de Maroc*. 2<sup>ème</sup> éd. Rouen: G. Behourt, 1973.
- Caillié, René. *Le Voyage de René Caillié à Tombouctou et à travers l'Afrique 1824 - 1828*. Paris: Publié par Jaques Boulenger, Plon, 1932.
- Challaye, Félicien. *Le Congo Français*. Paris: Cahiers de la quinzaine série, 1906.
- Chevillon, André. *Un crépuscule d'islam: Fès en 1905*. Paris: Hachette, 1906.
- Cornevin, Robert & Léopold Panet. "Métis Sénégalaïs premier explorateur moderne du Sahara occidental." *La Grande Encyclopédie du Maroc*. Berganno: Grouppo Walkover, 1968.
- De Foucauld, Charles. *Reconnaissance au Maroc: 1883 - 1884*. Paris: Librairie Coloniale, 1988.

- De la Charrière, Jacques Ladreit. "Dans le sud et l'ouest du Maroc." *Renseignement coloniaux*. no. 4 (1912).
- \_\_\_\_\_. "Les études berbères au Maroc et leur intérêt africain." *Renseignement Coloniaux* (1924).
- Deschamps, Hubert. *Histoire des explorations*. que sais-je? no. 150. Paris: Presses universitaire de France, 1969.
- \_\_\_\_\_. *L'Europe découvre l'Afrique Occidentale*. Paris: Berger Levraud, 1974.
- Dubarry, Armand. *Voyage au Dahomey*. Paris: Maurice Dreyfous Editeurs, 1897.
- Dugas, Guy. "Contribution à l'état des recherches imagologiques au Maghreb." *Échanges*. no. 3 (1979).
- Eugen, Étienne. "L'institut Marocain." *Renseignements Coloniaux*. no. 8 (1904).
- Fermaux, Jacques. *Le Maghreb fantasmique souvenirs de Rome et présence français au Maghreb: Essai d'investigation, connaissance du Maghreb*. Paris: L.N.R.E, 1984.
- Gentil, Louis. *Voyages des explorations dans l'Atlas Marocain*. Paris: Publication du Comité de L'Afrique Française, 1924.
- Hammam, Mohammad. *Al Rihla entre l'orient et l'occident*. Rabat: F.L.S.H, 2003.
- Henry, Jean-Robert. *Le Maghreb dans l'imaginaire français: la colonie- le désert, l'exil*. Collection Maghreb Contemporain. Tunis: Edisud, 1985.
- Joumani, Ahmed. *Oued Noun- sud de Maroc- Mythes et réalités*. Paris: Editions l'Harmattan, 2006.
- La croix, Frédéric. "La Colonisation et administration, Romains dans l'Afrique septentrionale." *Revue Africaine*. no. 41 (1863).
- Lahjomri, Abdeljalil. *Le Maroc des heures française*. Rabat: édition Marsam et Stouki, 1999.
- Lebel, Roland. *Les Voyageurs Français du Maroc, l'exotisme Marocain dans la littérature de voyage*. Paris: E.Larose, 1936.
- Liauzu, Claude. *Race et civilisation: l'autre dans la culture occidentale*. Paris: Syros-alternatives, 1992.
- Magali, Morsy. *La Relation de Thomas Pellou: Une lecture du Maroc au 18<sup>ème</sup> siècle*. Paris: édition recherche sur les civilisations, 1983.
- Mallert, Louis. *L'exotisme indochinois dans la littérature française depuis 1860*. Paris: Larousse, 1934.
- Midiohouan Ossito, Guy. "Un Auteur africain francophone de XIX<sup>o</sup> siècle face à la conquête coloniale, Léopold Panet et la relation d'un voyage du Sénégal à Soueira (Mogador)." *Revue de l'université d'Abomey- Calavi* (2002).
- Montagne, Robert. *Les Berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc*. Collection Archives. Casablanca: Afrique ouest, 1989.
- Mouette, Germain. *Relation de la captivité du Sr Mouette dans les royaumes de Fès et de Maroc*. Paris: Jean Cochard, 1983.
- Panet, Léopold. *Première exploration du Sahara occidental, relation d'un voyage du Sénégal au Maroc 1850*. Paris: Le Livre Africain, 1968.
- Piquet, Victor. *Le peuple Marocain: Le bloc berbère*. Paris: Emile Larose, 1925.



- Rohlfs, Gérard. *Voyages et explorations au Sahara (1861-1864)*. Jacques Debetz (tard.). Paris: Karthala, 2001.
- Ruscio, Alain. *Le Credo de l'homme blanc; regards coloniaux français XIX°-XX° siècles*. Paris: édition complexe, 1995.
- Thomassy, Raymond. *Le Maroc relation de la France avec cet empire*. 2<sup>nde</sup> éd. Paris: F.D.DOT, 1859.
- Todorov, Tzvetan. *Nous et les autres: La réflexion française sur la diversité Humaine*. Paris: Seuil, 1989.
- Vatin, Jean-Claude (ed.). *Connaissance du Maghreb: Sciences Sociales et Colonisation*. Paris: CNRS, 1984.